

دلائل الإعجاز

كذا فقد استكمل الفضلَ وبلغَ أقصى ما يُراد .

واعلم° أنسًا وإن° كذا إذا اتبعنا العُرفَ والعادةَ وما يهجسُ في الصّـميرِ وما عليه العامةُ أرانا ذلك أن الصّـوابَ معهم وأن التّـعويلَ ينبغي أن يكونَ على المعنى وأنه الذي لا يسوغُ القولُ بخلافه فإنّـ الأمرَ بالصدّـ إذا جئنا إلى الحقائقِ وإلى ما عليه المحصّـلون لأننا لم نرى متقدّمـاً في علمِ البلاغةِ مبرّرـاً في شأوها إلاّ وهو يُنكر هذا الرأىَ ويَعيدهُ ويُزري على القائل به ويغصّـ منه . فمن ذلك ما رويَ عن البحتريّـ : رويَ أنّـ عبّـيدَ ابنَ عبدِ ابنِ طاهرٍ سأله عن مسلمٍ وأبي نواسٍ أيّهُما أشعرُ فقال : أبو نواس . فقال : إنّـ أبا العباسِ ثعلباً لا يوافقك على هذا . فقال : ليس هذا من شأنِ ثعلبٍ وذويه من المتعاطينَ لعلمِ الشعرِ دونَ عملِهِ إنما يَعلمُ ذلك من° دُفِعَ في سلاكِ طريقِ الشعرِ إلى مَضايقهِ وانتهى إلى ضروراته . وعن بعضهم أنه قال : رأني البحتري ومعي دفترُ شعرٍ فقال : ما هذا فقُلّـتُ : شعرُ الشّـنفرى . فقال : وإلى أينَ تَمضي فقلتُ : إلى أبي العباسِ أقرؤه عليه . فقال : قد رأيتُ أبا عبّـاسِكُم هذا منذُ أيامِ عندِ ابنِ ثَوابةٍ فما رأيتُهُ ناقداً للشعرِ ولا مُميزاً للألفاظِ ورأيتُهُ يستجيدُ شيئاً وينشده وما هو بأفضلِ الشرعِ . فقلتُ له : أمّا نقدُهُ وتمييزُهُ فهذه صناعةُ أُخرى ولكنّـه أعرَفُ الناسِ بإِعرابهِ وغريبهِ . فما كان يُنشدُ قالَ : قولَ الحارثِ بنِ وعلّـة - الكامل - :